التمظهرات النفسية للأنا الغاضبة في البنية الفنية للقصيدة الدامغة لجرير

د : علي محمد عيسى الشاظوف*
كلية اللغة العربية جامعة محمد بن علي السنوسي الإسلامية ، ليبيا.
البريد الإلكتروني: alilsaithof68@gmail.com

تاريخ الارسال 2025/11/1م تاريخ القبول 2025/1/5م

The Psychological Manifestations of the Angry Ego in the Artistic Structure of Jarīr's Al-Dāmigha Ode

Prepared by: Dr. Ali Mohammed Issa Al-Shazouf
البريد الإلكتروني: alilsaithof68@gmail.com

Research Abstract:

This research addresses the "irate self" in the poetry of Jarīr ibn ʻAṭiyya, one of the most prominent poets of the Umayyad era. This is manifested in his renowned satirical ode, "Al-Dāmigha," through which he lampooned the Banū Numayr tribe. The irate self appears in this poem through several manifestations, and accordingly, the research has been divided into a preface that discusses the irate self and the event, followed by an exploration of its psychological and artistic representations .The study of the psychological manifestations of the irate self in the ode is conducted through three sections. The first section covers the psychological aspects and the artistic form of the poem, represented by: (a) the irate self and the poem's title, (b) the irate self and the poem's opening, (c) the irate self and the poem's theme, and (d) the irate self and the poem's conclusion. The second section examines the irate self and its archetypes within the poem's artistic imagery, which is divided into: (a) the image of the sarcastic self, (b) the image of the transcendent self, and (c) the image of the dominant self .The third section studies the most significant artistic techniques through which the irate self was manifested, namely: (a) the stylistic methods of command and interrogation, and (b) the stylistic method of repetition.

الملخص :

يتناول هذا البحث الأنا الغاضبة عند جرير بن عطية أحد أكبر شعراء العصر الأموي، في قصيدته الهجائية المشهورة بالدامغة التي هجا فيها بني نمير، فقد تمظهرت الأنا الغاضبة عنده في هذه القصيدة في عدة مظاهر وتبعًا لهذه المظاهر تم تقسيم البحث إلى تمهيد، تناول الأنا الغاضبة والحدث، بينما تم تناول التمظهرات

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

النفسية للأنا الغاضبة في القصيدة من خلال ثلاثة مباحث، فشمل المبحث الأول: التمظهرات النفسية والشكل الفني للقصيدة، وتمثل في: أ/ الأنا الغاضبة وعنوان القصيدة، ب/ الأنا الغاضبة ومطلع القصيدة، ج/ الأنا الغاضبة وموضوع القصيدة، د/ الأنا الغاضبة وخاتمة القصيدة، وتناول المبحث الثاني: الأنا الغاضبة وأنماطها في الصورة الفنية للقصيدة، والتي انقسمت إلى: أ/ صورة الأنا الساخرة، ب/ صورة الأنا المتعالية، ج/ صورة الأنا المسيطرة، وفي المبحث الثالث تم دراسة أهم الأساليب الفنية التي تمظهرت فيها الأنا الغاضبة، والتي تمثلت في: أ/ أسلوبي الأمر والاستفهام. ب/ أسلوب التكرار .

المقدمة:

شكل الغضب وسيلة فنية ودافعًا قويًا من دوافع وأسباب تشكل النص الأدبي وظهوره للعيان، خاصة في غرضي الفخر والهجاء، ففي العادة نجد الشاعر تتشكل أناه في هذين الغرضين وتتمظهر بين التعالي والغضب في محاولة من الأنا لتعزيز ثقتها بنفسها ومنعها من السقوط والانكسار، خاصة إذا كان صاحب الأنا شاعر اشتهر بفن الهجاء، يعتز بنفسه وقبيلته، ويرفض الضيم وينافح عن قبيلته، فيؤذي بشعره من يحاول النيل منها، أو يحط من شأنها؛ كي لا تقوم لها قائمة، مثل الشاعر جرير بن عطية الخطفي أشهر وأكبر شعراء العصر الأموي، الذي لم يصمد أمامه في الهجاء سوى شاعرين هما الفرزدق والأخطل، وعرفت قصائدهم "بفن المنافرات أو النقائض"، وقد وقع اختيارنا على دراسة قصيدة مشهورة لجرير عرفت بالقصيدة الدامغة والتي هجا فيها الراعي النميري، وعلى الرغم من شهرة هذه القصيدة إلاَّ أنها لم تلق دراسة وافية من الناحية الفنية والنفسية، وقد وجدنا لها دراسة تناولت القوة الحجاجية في القصيدة، للدكتور إيهاب سعد شفطر، نشرت في مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، كلية الآداب جامعة كفر الشيخ، العدد 28 يناير 2023م، وكذلك ذكرت بعض أبياتها في بحث فن الهجاء عند جرير للدكتور عبد الهادي أحمد أبو القاسم، والدكتور السنوسي أبو بكر أحمد، مجلة جامعة سرت المجلد العاشر العدد الأول يونيو 2020م، وكذلك وردت بعض منها في كتاب جرير حياته ونتاجه للدكتور محمد باقر عبد الغني، ترجمة الدكتورة سعاد محمد إبراهيم خضر، دار مكتبة الرائد العلمية عمان الأردن، الطبعة الأولى، 1425هـ، 2004م، وقد وظف الشاعر في هذه القصيدة جميع إمكانات اللغة من صور وأساليب فنية وبلاغية، وسخرها جميعًا لخدمة غرضه في القصيدة وهو الهجاء، وبعد قراءة القصيدة قراءة متأنية رأى البحاث أنها تتمظهر بالغضب من بدايتها إلى نهايتها؛ ولذا أثرنا دراسة تمظهرات الأنا الغاضبة

عند جرير في هذه القصيدة، وأطلقنا على البحث: ((**التمظهرات النفسية للأنا الغاضبة في البنية الفنية للقصيدة الدامغة للشاعر جرير**))، وتم تقسيم البحث إلى تمهيد شمل الأنا الغاضبة والحدث، بينما تم دراسة التمظهرات النفسية للأنا الغاضبة في القصيدة من خلال ثلاثة مباحث، شمل المبحث الأول: التمظهرات النفسية في الشكل الفني للقصيدة، وتمثل في: أ/ الأنا الغاضبة وعنوان القصيدة، ب/ الأنا الغاضبة ومطلع القصيدة، ج/ الأنا الغاضبة وموضوع القصيدة، د/ الأنا الغاضبة وخاتمة القصيدة، وتناول المبحث الثاني: الأنا الغاضبة وأنماطها في الصورة الفنية للقصيدة وانقسم إلى: أ/ صورة الأنا الساخرة، ب/ صورة الأنا المتعالية، ج/ صورة الأنا المسيطرة، 3 وفي المبحث الثالث تم دراسة أهم الأساليب الفنية التي تمظهرت فيها الأنا الغاضبة، وتمثلت في: أ/ أسلوبي الأمر والاستفهام. ب/ أسلوب التكرار والذي تمثل في تكرار اسم قبيلة بني نمير.

تمهيد- الأنا الغاضبة والحدث:

ترتبط الأنا بالعلوم الإنسانية كعلم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة، والأدب، وعلم اللغة، ويختلف معناها من علم لآخر، فالأنا الغاضبة في علم النفس هي إحدى عناصر الجهاز النفسي عند فرويد والذي قسمه إلى الهو والأنا، والأنا العليا، فالأنا هي التي تتأثر بالمحيط الخارجي، وتتكفل بالدفاع عن الشخصية وتعمل على تكيفها مع البيئة، وتقوم بوضع التوافق بين الأنا العليا والهو، ولكن إذا لم تستطع هذه الأنا تحقيق التوافق بين الأنا العليا والهو، فسيؤدي هذا إلى اضطرابها(1)، فالأنا ((هي تلك الشخصية التي نعرفها في أنفسنا، ونشعر بها ... هي صاحبة العواطف والميول، وهي منطقية معقولة، متصلة بعالم الواقع اتصالاً مباشرًا، وهي حلقة الاتصال بين النزعات الغريزية ومثيرات العالم الخارجي))(2)، إذًا تتأثر الأنا بمحيطها الخارجي وتؤثر فيه، فتكون بينهما علاقة تأثير وتأثر، فهي تتأثر بما جري حولها من أحداث، فتنفعل بسببها وتنشأ بذلك ردة فعل على الأحداث التي تظهر أمامها سواء أكانت هذه الأحداث مفرحة أم حزينة، فالعاطفة تقود الأنا في هذا الحدث أو الموقف الذي يظهر أمامها فتتغلغل فيه وتصبح عنصرًا بارزًا في هذا الحدث، وأحيانًا تصبح المحور الأساسي أو البطلة فيه.

وينشأ الغضب نتيجة رد فعل الفرد تجاه موقف لا يعجبه يشعر فيه بالإهانة والذل، أو القهر، أو الظلم، أو الانتقاص من قدره، من قبل الآخر الذي قد يكون فردًا، أو قبيلة، أو مجتمعًا، ((فالغضب هو رد فعل الإنسان، إزاء مواقف عديدة(أو شخص أو أشخاص)، لا تريحه، أو تهدد أمنه وسلامته، أو تحرمه آماله وطموحاته، أو تسيئ إلى كبريائه وكرامته)) (3)، فالغضب لا ينشأ دون سبب أو مثير، بل نتيجة ظروف أو

أسـباب هيأت ظهوره للعلن، فهو أولاً وآخرًا انفعال بسـبب حدث ما؛ أي أنه رد فعل عليه.

وأنا الفرد في ظل الغضـب تتحول إلى أنا غاضـبة تتأثر بالأحداث والمواقف التي تحدث معها، فتنفعل وتثور في وجه كل من يتسبب في إيذائها فيصبح الغضب وسيلة الأنا للدفاع عن نفسـها، كما تلجأ الأنا للاتحاد مع الأنا الجمعية إذا توافقت معها في موقف تجد فيه مصلحتها، فيصبح صراع الأنا مع أنا أخرى وأنا جمعية أخرى غير التي تنتمي إليها، تمامًا كما يحدث بين القبائل، فالشـاعر مثلاً ينتمي إلى قبيلة ويدافع عنها وتدافع عنه؛ لأن العلاقة بينهما علاقة انتماء، ولكن إذا تعارضت مصلحته معها نجده يقف ضـدها مطالبًا بحقوقه فيها كما حدث مع الشـعراء الصـعاليك، وكذلك مع عنترة بن شداد العبسـي، وحين تنصفه القبيلة يفخر بها ويدافع عنها بلسانه وسيفه، وبذلك تتحد أنا الشـاعر مع نحن القبيلة (الأنا الجمعية)، و الأنا في هذا البحث هي أنا غاضـبة نشـأت نتيجة موقف حدث من الآخر - الذي قد ينتمي لقبيلة أخرى- فاستثار غضبها، ويتبين من خلال هذا الصراع مدى قوة انفعال الأنا بالموقف وتعلقها وانتمائها بالأنا الجمعية القبيلة، كما يتضـح اتحاد الأنا مع العالم الخارجي لتكون ردة فعل قوية وربما غير متوقعة من الآخر الذي استثارها.

والأنا المقصـودة هنا هي الأنا الغاضـبة لجرير التي تمظهرت في قصـيدته التي ذاع صـيتها حتى عُدت من عيون الشـعر العربي وهي القصـيدة الدامغة، أو الفاضـحة التي فضح فيها بني نمير، وقد جاءت هذه القصيدة نتيجة حدث بدأ حين قدم الراعي النميري إلى البصـرة وهو شـاعر مشـهور، يؤخذ برأيه في الحكم بين الشـعراء، خاصـة وأنه شـاعر مضـر وشـيخها، وقدم عليه عرادة النميري راويته، ونديم الفرزدق في الوقت ذاته، وطلب من الراعي قول شـعر يفضـل فيه الفرزدق على جرير، وأخذ يلح عليه حتى قال الراعي:

يا صاحبي دنا الأصيل فسيرا غلب الفرزدق في الهجاء جريرا

فذهب عرادة إلى الفرزدق وأنشـده البيت، وعلم جرير بذلك، فذهب لسـوق المربد والتقى بالراعي وقال له: أنا وابن عمى هذا يقصد الفرزدق نستب ليل نهار فما لك غلبة الغالب ولا عليك غلبة المغلوب، فإما أن تدعني أنا وصاحبي، وإما أن تفضلني عليه ، فأنا أولى بهذا لأني أدافع عنكم والفرزدق يهجوكم، فوافق الراعي أن يلتقى مع جرير بسـوق المربد ويعتذر إليه، والتقيا في اليوم التالي، ولكن جاء جندل ابن الراعي النميري وضرب بغلة أبيه فركلت البغلة جرير وسقط أرضًا وقال جندل لوالده لا أراك واقفًا على كلب من كليب، فغضـب جرير وقال للراعي وابنه: إن قومي وضـعوني

بسوق المربد إلاَّ لأدافع عنهم فأسب من يسبهم، أما والله لأثقلن رواحلك بما يسوؤكم ويسوء نسوة بني نمير، ونظر إلى راويته وقال له: زد في دهن دواتك وسراجك، ثم انصرف غاضبًا وبقي ليله يفكر في قصيدة يهجوا فيها بنو نمير، وبدأ في قصيدته ولكنه لم يهدأ حتى اهتدى إلى قوله:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبًا بلغت ولا كلابا

فقيل إنه قفز عاليًا من شدة فرحته بهذا البيت وكان راويته نائمًا ففزع منه، وقال جرير لراويته: حسبك قد نلت منه، نم الآن، ثم خرج في اليوم التالي ودهن شعره ثم ركب دابته ذاهبًا لسوق المربد ودخل على القوم ولم يسلم عليهم فقال قصيدته مباشرةً، وقد قيل إن الراعي بعد أن أكمل جرير قصيدته قال بعض الأبيات ثم سكت، فقام مكانه الفرزدق ورد على جرير بقصيدة على نفس الوزن والقافية، ثم خرج الراعي إلى بعض قومه بالبصرة وقال لهم رحالكم قد فضحكم جرير فقالوا له هذا من شؤمك وشؤم ولدك، ثم خرجوا من المربد إلى قومهم بالبادية.(4)

هذه هي رواية قصة القصيدة الدامغة لجرير، فهذه القصة حركها حدث، وهذا الحدث جاء عن طريق شخصيات قامت بافتعاله وهذه الشخصيات تمثلت في شعراء وهم جرير والراعي النميري وابنه جندل وعرادة النميري، والفرزدق، والأخطل الذي هجاه الشاعر في القصيدة أيضًا على الرغم أنه لم يكن في الحدث، ولكن الشاعر ذكره معهم بوصفه أيضًا من خصومه.

وقد كان المسبب الأول للحدث هو عرادة النميري الذي ألح على الراعي بتفضيل شعر الفرزدق على شعر جرير، فعرادة هو المحرك الأساسي للحدث، ومن هنا بدأت الأنا الجريرية بالغضب شيئًا فشيئًا؛ فالراعي فضل الفرزدق عليه، وهذا ما لا ترضاه ولا تقبله أنا جرير، وخاصة أن الفرزدق يهجو بني نمير وجرير يمدحهم، فالراعي من وجهة نظر جرير قد وقع في خطأ كبير بسبب هذا التناقض، فكيف يفضل من يهجوهم على من يمدحهم؟ فهذا أول سؤال تعجبي من الأنا الجريرية، فالمتوقع هو العكس، ولكن هذا ما حدث، فكانت أنا جرير حائرة بين المتوقع وغير المتوقع، وأراد من الراعي قبل هجائه له ألاَّ يفضل أحدهما على الآخر، وذهب إلى الراعي واتفقا أن يلتقيا بسوق المربد ويعتذر الراعي لجرير وينتهي الأمر، ولكن الحدث لم ينته هنا بل دخل جندل ابن الراعي في القصة فعقد الأمر، ودمر الاتفاق، مما زاد من ارتفاع غضب الأنا لدى جرير؛ وذلك حين شبه جندل جريرًا بالكلب، ثم ضرب دابة أبيه مما جعلها ترمح جريرًا، وتسقطت قلنسوته، ثم قال بيتًا من الشعر وهو ما جاءت قصيدة جرير على منواله بنفس الوزن والقافية:(5)

ألم ترى أن جحش بني كليب تعرَّض حول دجلة ثم هابا

فالبيت الشـعري هنا يدل بوضـوح على أنه السـبب في رد جرير عليه بالقصـيدة الدامغة، فلقد جاء رد جرير على نفس الوزن، ونفس القافية؛ لذلك تعد القصـيدة الدامغة في حد ذاتها نقيضـة أو معارضـة لبيت ابن الراعي، وقد كان جرير يتفاءل بهذه القافية، ويسميها المنصورة؛ لأنه أجاد وأبدع في عدة قصائد بناها على هذه القافية، فجرير كان يرى نفسـه مظلومًا منذ البداية، وهذا البيت كان كافيًا لإثارة غضـبه وحنقه على راعي الإبل وابنه بل وبني نمير بصفة عامة.

لقد شـكل هذا الحدث نوعًا من الغضـب المركب داخل الأنا الجريرية، تمثلت أسـبابه فيما يأتي:

السبب الأول: الغضب من عرادة النميري؛ لأنه حرض الراعي على قول شعر يفضل فيه الفرزدق على جرير.

السبب الثاني: الغضـب من الراعي النميري؛ لتفضـيله الفرزدق عليه، وشـعور جرير بالظلم؛ لأنه كان يمدح بني نمير، والفرزدق يهجوهم.

السبب الثالث: الغضب من جندل بن الراعي النميري الذي ضرب بغلة والده، فرمحت جريرًا وأسقطته أرضاً، ثم هجا جريرًا ببيت من الشعر، ويقال أن البيت للراعي وليس لابنه، ويقال إنه لعرادة النميري راوية الراعي، وقد اختلف الرواة أيضًـــا في أن البيت قيل قبل قصيدة جرير كما تروي بعض الروايات التي وردت حول حدث هذه القصيدة، وهذا ما نجده في النقائض حيث أســند البيت لراوية الراعي عرادة النميري، وأنه قاله قبل قصيدة جرير((قال: وزعم الكلبي أن جريرًا بلغه قول عرادة النميري حيث يقول:

رأيت الجحش جحش بني كليب تيمم حول دجلة ثم هابا))(6)

وفي رواية أخرى يقال إن الراعي النميري هو من قالها ردًا على قول جرير، (7) كما نجد رواية أخرى عند صاحب الأغاني تقول إن الراعي النميري هو صاحب البيت قاله أثناء حدث المربد، أي قبل أن يقول جرير قصـيدته((أخبرنا أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلام قال: أخبرني أبو الغراف قال الذي هاج التهاجي بين جرير والراعي أن الراعي كان يُســأل عن جرير والفرزدق. فيقول الفرزدق أكرمهما وأشــعرهما. فلقيه جرير فاستعذره من نفسه.

ثم ذكر باقي الخبر مثل ما تقدم، وزاد فيه: أن الراعي قال لابنه جندل لما ضرب بغلته:

ألم تر أن كلب بني كليب أراد حياض دجلة ثم هابا

ونفرت البغلة فرمحته حتى سقطت قلنسوة جرير. فقال الراعي لابنه أما والله لا تكونن فعلة مشؤومة عليك وليهجوني وإياك، فليته لا يجاوزنا ولا يذكر نسوتنا. وعلم الراعي

أنه قد أساء وندم، فتزعم بنو نمير أنه حلف ألاَّ يجيب جندلاً سنة غضبًا على ابنه، وأنه مات قبل أن تمضي سنة، ويقول غير بني نمير إنه كمد عندما سمعها فمات كمدًا)) (8) .

ونلاحظ من خلال ما سبق اختلاف المفردات في البيت الشعري من رواية إلى أخرى، وكذلك اختلاف قائل البيت، ولكن المتفق عليه أن القائل من بني نمير، كما نتفق مع الرواية التي تقول أنه قيل قبل قصيدة جرير وذلك يرجع لعدة أسباب منها: أولاً: أن معنى البيت واضح يدعيّ خوف جرير من الراعي ويعلن تحديه له، وهذا يدل على أنه قيل قبل قصيدة جرير، وجرير رد عليهم بقصيدته الدامغة. ثانيًا: القافية التي بنى عليها جرير القصيدة جاءت على قافية ووزن هذا البيت المنسوب لبني نمير، وقد آثار غضب جرير، وجعله لا ينام الليل حتى ينتقم لنفسه، ويطفئ جمر غضبها، واستطاع الانتقام لأناه المقهورة، وحولها من حالة الانكسار في حدث المربد (تفضيل الفرزدق/ سقوط قلنسوته وربما سقوطه حسب بعض الروايات/ ثم تشبيهه بالكلب) فهذه كلها أحوال انكسار لأنا جرير التي لم تستطع تقبل الإهانة، ورفضت الظلم والقهر، ففي ظل هذه الإحباطات التي مرت بها الأنا من انكسار وذل وإهانة، جاءت ردة فعلها غاضبة أشبه بالنار التي أكلت الأخضر واليابس ولم تبق على شيء.

التمظهرات النفسية للأنا الغاضبة في البنية الفنية للقصيدة

تشكلت التمظهرات النفسية للأنا الغاضبة في القصيدة الدامغة لجرير في عدة تمظهرات فنية يمكن أن نستشفها من خلال دراسة الشكل الفني للقصيدة وصورها وأساليبها الفنية.

المبحث الأول: الأنا الغاضبة والشكل الفني للقصيدة:

ونقصد به شكل القصيدة المكون من عنوان القصيدة والمطلع وموضوع القصيدة، والخاتمة.

أ/ الأنا الغاضبة وعنوان القصيدة:

المعروف أن عنوان القصيدة هو مفتاحها وهو أول ما يلفت انتباه القارئ، فهو يبوح بما يدور في ذهن الشاعر، وهو عنصر مهم في العملية الإبداعية ولذلك نجد الشاعر يولي له عناية كبيرة، فهو ((رسالة لغوية تعرّف بتلك الهوية وتحدد مضمونها، وتجذب القارئ إليها وتغريه بقراءتها، وهو الظاهر الذي يدل على باطن النص ومحتواه)) (9) .

والواقع أننا قل ما نجد في الشعر العربي القديم عنوانات للقصائد، وقد كان لهذه لقصيدة وقوتها أثر نفسي كبير؛ حيث نجد جريرًا يسمي هذه القصيدة بعدة مسميات

منها الدامغة أو الدمَّاغة و الدهقانة، بل لا يكتفي بذلك فيسمي حتى القافية ويطلق عليها القافية المنصورة، وأما العرب فتطلق عليها الفاضحة (10)، وهذا يرجع إلى ضخامة الأثر النفسي والفني للقصيدة عند شعراء الحدث وعند العرب عامة، فقد عجز عنوان واحد أن يصفها وصفًا كاملاً ترتاح إليه نفوسهم، بل تعددت عنواناتها في محاولة من الشاعر والعرب المتلقين لها لإعطاء القصيدة حقها من قوة العنوان الذي تستحقه.

وإذا أمعنا النظر في هذه التسميات سنجدها تدل دلالة واضحة على أنا الشاعر الغاضبة، فالعنوان يُوحي بالغضب والانتقام، ورفض الآخر وفضحه والنيل منه؛ وذلك أمر طبيعي من أنا غاضبة لم يصمد أمامها سوى القليل من الشعراء، حتى قيل أن عدد الشعراء الذين هجاهم جرير وأخمدهم تجاوز الأربعين شاعرًا من أبرزهم الأخطل التغلبي، وسراقة بن مرادس، واللعين المنقري، وعمرو بن لجأ التميمي، وعدي بن الرقاع العاملي، والراعي النميري، وغيرهم(11)، فعنوان القصيدة سواء أكان الدامغة أم الدماغة أم الدهقانة، أم الفاضحة يدل على عظم الأثر النفسي للقصيدة، وهو يدور في الفلك المعجمي حول معاني المواجهة والتعذيب، والانتقام، والضرب، والقهر، والغلبة، والعلو، والقتل، والقطع، والإفحام، والكشف، والكسر، والعصر، وعلى الرغم من أن العنوان يتكون من كلمة واحدة في كل مسمى من مسمياته(الدامغة أو الدماغة- الفاضحة- الدهقانة) إلا أن ورودها بصيغ المبالغة توحي بقوة وشدة الدمغ والدهق في جميع دلالتها السابقة؛ لتدل على أن هذه الصفات أصبحت ملازمة للمهجوين، وهو ما نلاحظه على الروايات التي ظهرت حول هذه القصيدة، فقد أورد صاحب العمدة بابًا أطلق عليه من رفعه الشعر ومن أذله، فأورد قصة القصيدة الدامغة وكيف أذلت بني نمير وهم إحدى جمرات العرب كانوا يفتخرون بانتسابهم لقبيلتهم، وحين يسألون ممن العرب؟ يللون رقابهم ويضخمون أصواتهم حين ينطقون اسم قبيلتهم، ولكن بعد هجاء جرير لهم لم تقم لهم قائمة، وأصبح هذا الاسم عارًا بالنسبة لهم يوارونه ويذهبون إلى ذكر أصول القبيلة العليا، ويحكى أن عبدًا من قبيلة باهلة كان بنو نمير يتنمرون عليه بسوق المربد بالبصرة، فشكى لبعض القوم ذلك، فقالوا له إذا سخروا منك قل لهم:

فغض الطرف إنك من نميرٍ ** فلا كعبًا بلغت ولا كلابا،

وحين قدم العبد إلى سوق المربد تعرض له بنو نمير، فنسي العبد البيت، فقال لهم غمِّض غمِّض وإلاَّ جاءك ما تكره، ففر القوم؛ لأنهم عرفوا أن العبد يعيرهم بهجاء جرير لهم، ولم يتعرضوا له بعد ذلك، (12) .

والواضح أن الشاعر اختار لقصيدته عنوانًا يلائم مضمونها، ويتفق مع ما أعطته القصيدة من رضا نفسي لجرير، ويهدئ من غضب أناه، بعد ما حققته له هذه القصيدة من أهداف انتقامية، فجرير أخزى بني نمير بهذه القصيدة فلم تقم لهم قائمة بعدها، فسخر منهم وأذلهم حين أسقط عليهم كل المعاني الفاحشة والبذيئة؛ وذلك انتقامًا منهم وانتصارًا لأناه الغاضبة؛ حيث وضع كل هذه المسميات ودلالاتها ضد الآخر المعادي، وهذا يوحي بشدة غضب الأنا وانتقامها، ويبين مدى قوة النار التي تضطرم بداخلها، فجرير من خلال العنوان جلد بني نمير بسياط لسانه أبد الدهر، فاختزل عنوان القصيدة محنة صراع الشاعر ومواجهته للآخر الذي رفض الاعتذار عن الإساءة، وتمادى في إذلاله، حتى شحذت الأنا الجريرية الغاضبة كل طاقاتها وحشدت كل ظواهرها النفسية والفنية لرد حقها والانتقام من الآخر المعادي والحط من شأنه.

ب/ الأنا الغاضبة ومقدمة القصيدة:

وإذا تأملنا قصيدة جرير نجدها تتكون من مائة وأربعة عشر بيتًا، ابتدأها جرير بمطلع مقدمة عذلية على عادة الشعراء القدامى، فالمطلع هو مفتاح الولوج إلى القصيدة، وقد أولى له الشعراء عناية خاصة فيُمثل مطلع القصيدة العتبة الأولى التي تفتح مغاليق النص وتكشف عن جوهره؛ لذا يتعين على الشاعر إحكام براعة الاستهلال وتجويد البدايات، لكونها أول ما يصافح مسامع المتلقي، وبناءً عليها يتشكل الانطباع الأول واليقين بمقدرة الشاعر الفنية منذ اللحظة الأولى(13)، وفي العادة يكون المطلع متلائمًا مع مضمون القصيدة، ودلالته النفسية توحي بتهيئة المتلقي للمعاني التي سترد في القصيدة، فقصيدة الرثاء مثلاً تتطلب مطلعًا يوحي بالحزن والفقد، أما قصائد المدح والهجاء والفخر فمن عادة الشعراء بدايتها بالنسيب، أو الوقوف على الطلل، فيظل الشاعر في مقدمات هذه القصائد يدور حول ثنائية الماضي والحاضر، أو الموت والحياة، والتذكر والنسيان، كأن يتذكر الماضي حتى ينسى الحاضر الذي قد يكون مؤلمًا، ويسعى في كل ذلك للربط بين مقدمة القصيدة، أو مطلعها مع موضوعها، وعادة ما يرتبط مطلع القصيدة بحياة الشاعر، والأحداث التي مر بها، أو بالحدث الذي جعله يقول هذه القصيدة، والقصيدة الدامغة لجرير هي انفعال من حدث قد وقع مع الراعي وابنه، وراوية الراعي عرادة النميري، فأدى هذا الحدث إلى غضب الأنا الجريرية فتفجرت طاقاتها الإبداعية؛ انتقامًا لنفسها والتعالي بها، بالإضافة إلى السخرية من الآخر والحط من شأنه.

إن الجو النفسي الغاضب الذي كان فيه جرير يتطلب مقدمة غزلية تتناسب مع هذه الثورة العارمة في نفس الشاعر؛ ولذلك لجأ الشاعر لا شعوريًا إلى المقدمة العذلية؛

لأنها تناسب ثورته العارمة على فعل الراعي وابنه فهذا المستوى النفسي الثائر لا تلائمه إلاَّ مقدمة ثائرة وساخطة على الآخرين؛ حيث لجأ الشاعر لا شعوريًا إلى مقدمة العذل في النسيب؛ لأن جوها الساخط والثائر على سياط ملامة العاذلة وتأنيبها يلائم درجة الثورة النفسية عند الشاعر وليستغل الشاعر هذه الدرجة من التوتر والغضب حتى تمتد إلى مقدمة القصيدة، وتستمر الثورة النفسية عند الشاعر، يقول جرير في الرد على العاذلة (14):

أقلي اللوم عاذل والعتابا وقولي إن أصبت لقد أصابا
أجدَّك ما تذكَّر أهل نجد وحيًّا طال ما انتظروا الإيابا

إن الشاعر في أوج غضبه يتذكر تأنيب العاذلة له، ولومها الدائم له، لذا ينتهز العقل الباطني هذه الفرصة وهذا الغضب المتأجج ليواجه العاذلة، ويردعها عن فعلها المؤلم والمتكرر، فتأخذ الأنا الغاضبة موقفًا متعاليًا من خلال أسلوب الأمر الذي يأتي على جهة الاستعلاء ليطالبها بالإقلال من اللوم، والإنصاف بذكر المواقف التي أصاب فيها، بالإضافة إلى عذله ولومه لنفسه عن طريق أسلوب الاستفهام الاستنكاري لعدم تذكر الأحبة من نجد، وهذا الجو الغاضب في الصراع مع العاذلة يتوافق نفسيًا مع غضبه وصراعه مع الراعي وابنه، وعتابه للراعي في بداية الحديث، وفي هذا الجو الغاضب أيضًا، لا تجد أنا الشاعر متنفسًا إلى طيبات الغزل وأجوائه الفرحة، بل نجده ينتقل إلى جو كئيب آخر؛ ليلائم الأنا الغاضبة وهو معاناة فراق الأحبة، وما يذرفه من دموع، يقول: (15)

بلى فارفضَّ دمعك غير نزرٍ كما عيَّنت بالسَّرب الطِّيابا
وهاج البرق ليلة أذرعات هوى ما تستطيع له طلابا
فقلت بحاجة وطويت أخرى فهاج عليَّ بينهما اكتئابا
ووجدٍ قد طويت يكاد منه ضمير القلب يلتهب التهابا
سألناها الشفاء فما شفتنا ومنَّتْنا المواعد والخلابا

فالأنا الجريرية تشعر بالوحدة والكآبة ومشاعر الاغتراب، فجرير بعيد عن نجد وعن زوجه الحبيبة أم حرزة؛ ولذلك يتوحد هذا الفضاء من الغضب والكآبة فتشكل الأنا لوحة أسطورية من معاناة الفراق، هذه اللوحة يزينها هذا البرق الخاطف ليلة أذرعات؛ ليصور الشاعر هذا الألم الأسطوري الذي أوجدته الذكرى عن طريق البرق الذي يبعث على التذكر، ولكنه في نفس الوقت يبعث على الخوف مما يمكن أن يأتي به، سواء أكانت أمطارًا خصبةً أم صواعق قاتلة، وهو يرينا معاناة الشاعر وقلقه وتساؤله عمَّا يمكن أن يحدثه الحب في نفسه، فهذا الحب قد تمكن منه حتى ألهب

شغاف القلب، وقد يئس في نفس الوقت من الشفاء، فجاءت الأبيات الأولى؛ لتكشف عن المعاناة النفسية التي تعانيها الأنا في ظل غياب الآخر ((المرأة الزوج))، وكأنها تعاني استلابًا يشعرها بالقهر النفسي، وليس هذا فحسب بل يمكن أن نلمح – في هذه المقدمة العذلية أيضا- من طرف خفي انشطار الأنا العاشقة عند جرير فهو دائمًا ما كان يتغزل في زوجه أم حرزة ويتحدث عن شوقه إليها، وإخلاصه لها، وهذا هو المتعارف عليه عند جرير - الذي كان يشتهر بعفته - بخلاف خصمه الفرزدق، ولكن إذا ما دققنا في الأبيات الأخيرة لهذه المقدمة العذلية نجد نفسًا عاشقة خفية أخرى لجرير فها هو يعاني عذابات الحب وعدم وفاء المحبوبة بوعودها ومواعيدها، وهذا لا يصدر إلاَّ عن نفس عاشقة خفية أخرى لم يستطع جرير البوح باسمها ولكن لواعج الحب والأشواق أبت إلاَّ أن تخرج أعناقها في أواخر هذه المقدمة العذلية، كما كشفت هذه المقدمة عن الحالة النفسية لجرير فوجد فيها متنفسًا يعبر عما اختلج في نفسه من ألم وحرقة؛ بسبب البعد عن الحبيبة الذي سبب الاغتراب من ناحية، والشعور بالذل والإهانة من الراعي وابنه من ناحية أخرى.

وقد جاء العذل قويًا عنيفًا على الرغم من إحساس المرارة والفقد الذي تشعر به الأنا، إلا أنها وجدت في هذا العذل وسيلة فنية ومتسعًا نفسيًا تبدأ به القصيدة حتى يكون ملائمًا مع الحدث وهو هجاء بني نمير وخصومه فـــ ((من اشتدَّ وجده، وعظم كلفه، حتى كان والعذل أحبَّ شيء إليه، ليري العاذل عصيانه، ويستلذ مخالفته، ويحصل مقاومته للائمة وغلبته إياه، كالملك الهازم لعدوه والمجادل الماهر الغالب لخصمه)) (16).

ويبدو أن جريرًا أراد من خلال هذه المقدمة الغزلية التي بدأها بالعذل؛ أن يحقق انتصاره على نفسه التي غلبها الشوق للمحبوبة، وليتخلص من الألم والوجد؛ ليعيد توازنه النفسي فتبدأ من منطلق القوة بالرد والتصدي للعاذلة، وبذلك يكون قادرًا على المواجهة، وبعبارة أخرى يكون قد هيأ نفسه للانطلاق إلى باقي القصيدة فينال من خصومه ويحقق الانتصار عليهم، وبذلك استطاع جرير الربط بين مقدمته العذلية وغرضها بهجاء خصومه، فالشاعر أراد إثبات شخصيته ومقاومة شعوره بالاغتراب العاطفي.

ويلاحظ من خلال المقدمة العذلية توظيف جرير لتقنية الاسترجاع بالعودة إلى زمان ومكان معينين، زمن الحب والعطاء مع زوجته أم حرزة ومكانها نجد، فيرفض لوم اللائم وزجره ونهيه كأي محب عاشق، فهو مشتاق لتلك الأيام لعله يجد فيها بعض العزاء عما يواجهه في الحاضر من غربة وتشيؤ بسبب البعد، فالواضح أن تقنية

الاســترجاع زادت من حدة الحزن والألم عند أنا الشــاعر الغاضــبة والمغتربة في آن واحد يقول: (17)

أقلّى اللوم عـاذل والعتابـا وقولــي إن أصبت لقد أصابا
أجدَّك لا تـذكر أهـل نـجدٍ وحيًّا طال وما انتظروا الإيابا
....
أباحت أم حرزة من فؤادي شــعاب الـحب إن لـه شــعابـا

ويستمر الشاعر في الشكوى من ألم بُعد الحبيبة ومكانها، فهي بنجد وهو بالعراق في البصـرة، فيلجأ إلى تقنية الاسـترجاع، كما يلجأ إلى وصـف المحبوبة ويصـف جسـمها ومحاسنها؛ لعله يجد في هذا الوصف تخفيفًا لشدة الشوق الذي يشعر به، يقول: (18)

أسيلة معقد السمطين منها وريًّا حيث تعتقد الحقابا
ولا تـمشي اللــئام لها بـسر ولا تهدي لجارتها السّبابا

لقد أراد الشــاعر من خلال توظيف تقنية الاســترجاع في هذه المقدمة، تخفيف القهر والذّل والانكسـار الذي يشـعر به، بعد إهانة الراعي وابنه له، فألم الماضــي لم يكن أقل من ألم الحاضـر فكلاهما زاد من شـدة الغضـب لدى الأنا الجريرية، فأرادت أن تشـحن نفسـها بكل ما تملك حتى تزيد من شـدة غضـبها فاجتمع الشـوق والألم وانكسـار النفس؛ بسبب الوعود الكاذبة من الحبيبة مع حاضـر الشـاعر المتشـيء والمغترب والمهان من الراعي وابنه جندل؛ حيث تراكم الماضــي على الحاضـر واتحدا معًا للانتقام من الآخر المعادي.

ج/ الأنا الغاضبة وموضوع القصيدة:

إن الموضـوع الذي تناولته قصـيدة جرير هو الهجاء، وهو غرض من أغراض الشـعر العربي عرفه شــعراء العصــر الجاهلي، ثم انخفض هذا الغرض بعد مجيء الإســلام، ولكن سرعان ما عاد في العصـر الأموي بسـبب الأحزاب السـياسـية، والعصـبية القبيلة التي عادت من جديد بعد أن محاها ظهور الإســلام، وكان ســوق المربد بالبصــرة هو مسرح أحداث هذا الفن وكان من أبرز شعرائه جرير والفرزدق والأخطل الذين عرفت قصـائدهم بالنقائض، فكان كل واحد من هؤلاء الشـعراء يتفاخر بقبيلته، ويحط من شـأن قبيلة الآخر، وهذا ما نجده في القصيدة الدامغة لجرير التي تتمظهر فيها المعاناة النفسية للأنا الغاضـبة والمقهورة والسـاخطة، والتي تجلت في موضـوع القصـيدة وهو الهجاء، الذي دخل فيه الشاعر مباشرة بعد المقدمة العذلية من خلال قوله: (19)

متى أذكر بخور بنى عقال تبين في وجوههم اكتئابا

لا نجد حسن التخلص في تقنية الانتقال من مقدمة القصيدة إلى موضوعها، وقد عمل بتقنية الاقتضاب، وكأنه كان في عجلة من أمره للانتقال إلى هجاء خصومه وهو ما يتناسب مع أناه الغاضبة، ولكننا إذا دققنا جيدًا وجدنا انتقالاً نفسيًا لأنا الشاعر؛ حيث نقل الفضاء الاكتئابي الذي يعاني منه الشاعر إلى بني عقال فهم سيكتئبون حتمًا عندما يذكرون جريرًا في مجالسهم، وهذا النقل للاكتئاب يشدد عليه في البيت اللاحق بقوله(20):

إذا لقي بنو وقبان غمًّا شددت على أنوفهم العصابا

ففي هذا البيت يؤكد مرة أخرى إن الهمَّ والغمَّ والاكتئاب سينتقل من نفسه إلى أعدائه، عن طريق قصيدته الهجائية؛ جزاءً لما أحدثوه في نفس الشاعر من همٍّ وغمّ، وقلق نفسي.

ويمضي الشاعر في البيت اللاحق إلى استخدام تقنية نفسية من أجل السماح للأنا بالتعالي على الآخرين، وهي تقنية التفاخر بقومه من بني تميم، فيرفع نفسه إلى مكانة اجتماعية فوق الآخرين؛ ليستحقرهم، ويعلمهم أنه أعلى منهم منزلة، ثم يدلف الشاعر إلى الهجاء في الأبيات اللاحقة؛ لينتقم من أعدائه ويصورهم في صور قبيحة ومقيتة تهينهم وتحط من قدرهم، وينوع الشاعر بعد ذلك ما بين الفخر والهجاء، فيقول مفاخرًا بقومه بني تميم: (21)

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

فقمة التفاخر والتعالي تظهر عند أنا الشاعر في هذا فبنو تميم إذا غضبت يغضب الجميع لأجلها، ثم يستمر الشاعر في الهجاء الذي يشمل الأخطل والفرزدق، ويركز على بني نمير والراعي وعرادة ونساء بني نمير، ويستمر في ذلك حتى نهاية القصيدة.

د/ الأنا الغاضبة وخاتمة القصيدة:

لكل قصيدة خاتمة تنتهي بها، ويتنوع الشعراء في ختام قصائدهم، منهم من يختمها لتدل على النهاية، ومنهم من ينهيها نهاية لا تشعر فيها بشيء يلفت الانتباه، فنهاية القصيدة مرتبطة بموضوعها الذي قيلت فيه، فقصيدة المدح تجد نهايتها تشعرك بالمدح والثناء على الممدوح؛ وذلك لحثه على الكرم وطمعًا في نيل رضاه والتقرب إليه، وأحيانًا ينهي الشاعر قصيدته بالفخر؛ للرفع من شأن قبيلته والتعالي والسمو على القبائل الأخرى، أما في الهجاء فمن عادة الشعراء إنهاء القصيدة للحط من شأن المهجو أو قبيلته في مقابل الرفع من شأنه وشأن قبيلته، فيُشترط في خواتيم القصائد أن تأتي متسقة مع غرضها الأساسي، فتفيض بالبشر والتهاني في مقام المدح، وتتشح بالشجن

والأسى في مواطن الرثاء والتعازي، بحيث ينسجم الختام مع كل سياق بما يلائمه، كما يجب أن تُصـاغ بألفاظ عذبة وجزلة في آنٍ واحد، وبناءٍ محكم يترك أثراً باقياً؛ ذلك أن نفس المتلقي عند بلوغ النهاية تكون أكثر تهيؤاً لاسـتيعاب المضـمون وتأمله، لكونها متفرغة من عناء المتابعة وغير منشـغلة بانتظار ما يليه، (22) وما دام مطلع القصـيدة هو مفتاحها فنهايتها هي قفلها أو قاعدتها التي يجب على الشـاعر أن يهتم بها؛ لأنها آخر شـيء يعلق في ذهن المتلقي، ((وأما الانتهاء فهو قاعدة القصـيدة، وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسبيله أن يكون محكمًا: لا تكمن الزيادة عليه ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحًا له، وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه))،(23)

وفي قصيدة جرير المخصصة لغرض الهجاء، نجد الأنا الغاضبة مستمرة في غضبها وكأن كل ما قالته لم يطفيء نارها ولم يهدىء من ثورتها، ويشـفي غيضـها، فبعد أن أضـفى جميع الصـفات السـيئة والقبيحة على خصـومه، نراه يركز على بني نمير في آخر بيت من القصيدة الذي يقول فيه: (24)

إليك إليك عبد بني نمير ولم تقتدح مني شهابًا

فبنو نمير هم محور القصيدة، وهم الخصوم والحلقة التي سيطرت على ذهن الشاعر، فسـيطرت على الشـعور واللاشـعور؛ حيث ثارت ثائرته عليهم فحشـد كل طاقاته الإبداعية وضخها في هذه القصيدة، فكل هذه الطاقات التي أطلقها جرير ستظل وسمة عار لهم أبد الدهر؛ حيث جاءت الخاتمة في هذا البيت موجزة في الموضوع والصورة، وقد وظف الشـاعر تقنية الحذف في الايجاز؛ حيث اختصـر حدث القصـيدة في البيت الأخير، فأصل الكلام أن جريرًا يقول: إليك عني يا عبد بني نمير بعد أن أغضبتني فأنا نار هائلة مشـتعلة، وهذه القصـيدة شـهابًا أشـعلته أنت منها فأحرقك بناره بسـبب الفعل الشـنيع الذي ارتكبته أنت وولدك، فالقفل هنا جاء لغرض جامع لحدث القصـيدة وموضـوعها، وجامع للأنا الغاضـبة والانتقام الذي حققته من خلالها، كما أفادت تقنية الحذف أن الأنا الجريرية الغاضـبة مازال لديها ما تقول فكأنها لم توظف كل طاقاتها الإبداعية في هذا القصـيدة، فجاءت الخاتمة مفعمة بالتحذير والتهديد والوعيد، الذي يوحي بشـدة غضـب الأنا الذي اسـتمر من بداية القصـيدة إلى نهايتها، كما يشـير إلى العاقبة السـيئة التي وصـل إليها بنو نمير؛ بسـبب الفعل الأرعن للراعي وابنه، والذي يمكن أن يلحق بهم أشد منه إذا فكروا في إهانة الشاعر مرة أخرى .

المبحث الثاني: الأنا الغاضبة وأنماطها في الصورة الفنية للقصيدة:

يتناول هذا المبحث أنماط الأنا الغاضـبة في الصـورة الفنية، فالصـورة الفنية أداة تعبيرية تعتمد على توظيف العناصر الفنية كالتشبيه والمجاز والكناية واللون والحركة

والرمز وذلك للتركيز على كشف المشاعر المكبوتة والقلق والتوتر والصراع النفسي الذي تعانيه الشخصية المبدعة أو إحدى شخصياتها، وتُعد الصورة الشعرية تجسيداً حياً للمدركات الذهنية والانفعالات النفسية والمشاهد الوجودية، سواء استندت إلى الواقع الحسي أو حلقت في فضاء الخيال؛ فهي تقوم على تضافر عناصرها الجزئية لتشكل بناءً متكاملاً ومنسجماً، يجمع بين وحدة الترابط وعمق الإيحاء، مما يمنح التعبير طاقة دلالية تتجاوز حدود المعنى المباشر(25)، فالصورة الفنية يعتمد الشاعر في تشكيلها على المخزون اللاشعوري الكامن في نفس الشاعر؛ لذا فإن قراءة الصورة الشعرية بناءً على ظاهرها المباشر تعد مقاربة قاصرة، إذ يستوجب الأمر الغوص في أعماقها واستكناه دلالاتها الخفية للكشف عن جوهرها الحقيقي (26)، وأنماط الصورة الفنية النفسية هنا هي صورة تشكلت من خلال الغضب تجاه موقف تعرضت له، مما جعل الشاعر يسعى جاهدًا إلى رسم صورة بشعة للآخر المعادي، فيلجأ للانتقام عن طريق هجاء خصمه في محاولة لـــ((إفراغ طاقة عاطفية تجمعت بإفراط على بعض الميول بسبب كبتها وبسبب استحالة افراغها)) (27)، ولكن هذه الطاقة ظلت مشحونة في اللاشعور وخرجت عند أول صدمة تعرض لها الشاعر، وتشكلت في أنماط صورية نفسية أراد الشاعر من خلالها استعادة توازنه النفسي وإلحاق الأذى بالآخر وتهميشه، من خلال الانتقام، ويمكن تقسيم أنماط الأنا الغاضبة المنتقمة في الصور الآتية:

1/ صورة الأنا الساخرة:

تشكلت الصورة الهجائية الساخرة عند جرير في القصيدة الدامغة من خلال الموقف الذي تعرضت له، من ازدراء الراعي وابنه لجرير واحتقارهما له، وكذلك من بعض رجال بني نمير، الذين حثوا الراعي على عدم الاعتذار لجرير، فهذا الموقف المتراكم للآخر المهين لأنا الشاعر ولد ثورة عارمة في نفس جرير، تمظهرت في غضب الأنا وتعاليها على الآخر المعادي، ورغبة شديدة في الانتقام منه، وقد بدأت أول بوادر هذا الانتقام من خلال تهديد جرير للراعي بأنه سيهجوه؛ وذلك من خلال قوله للراعي ((وأيم الله لأوقرن رواحلك))(28)، فهذه العبارة توحي بالانفعال وشدة الغضب، وأنه سيأتي بقصيدة ينتقم فيها من بني نمير جزاء ما فعلوا في حقه، وقد وظف جرير إمكانيات اللغة وطوعها في هذه القصيدة؛ لأجل تحقيق هدفه وهو الانتقام، فالغضب تحول إلى انتقام، عن طريق الهجاء الشعري الساخر.

فالانتقام هو رد فعل على فعل مضاد تعرض فيه الفرد للظلم وخلف في نفسه شعورًا بالقهر والقمع والتسلط من الآخر المعادي، والذي قد يكون فردًا أو جماعة، فيغضب

الفرد وتتولد لديه رغبة في الانتقام ورد الإهانة والأخذ بثأره حتى يستعيد توازنه النفسي، الذي لا يقتصر فيه الفرد على من أهانه فقط، بل يتعداه إلى باقي أسرته أو قبيلته، فيوسع الغضب بؤرة الانتقام، فيحوله من محور شخصي فردي إلى محوري جمعي اجتماعي، وهذا ما سعى إليه جرير في انتقامه من خصومه عن طريق شعره؛ حيث سعت أناه الغاضبة لتوسع دائرة الانتقام من خلال صورة ساخرة من أعدائه، وقد شملت هذه الصورة الساخرة نساء قبيلة بني نمير اللواتي اتخذ من السخرية منهنَّ مرتكزًا فحط من قدرهن من خلال صورة هجائية ساخرة يقول فيها: (29)

وقد جلت نساء بني نمير وما عرفت أناملها الخضابا

إذا حلت نساء بني نمير على تبراك خبثت الترابا

إن ضغط المشهد الخارجي المتمثل في الإهانة والتحقير والإذلال الذي تعرض له جرير من بني نمير جعله تحت وطأة ضغط داخلي آخر، أشد وطأة، وأكثر إيلامًا من الضغط الخارجي، فنتج عن ذلك أناً غاضبة تمظهر غضبها في رسم صورة حسية ساخرة تنبعث منها رائحة النتانة والعفونة والقذارة؛ وذلك حين رسم صورة ساخرة لنساء بني نمير عن طريق الكناية، فنساء بني نمير لا تعرف الخضاب، وهذا كناية عن عدم نظافتهن، وقد وظف الشاعر الفعل **(جلَّت)** الذي يعني التقاط بعر الدواب، بصيغة الماضي ليدل على أنه الوظيفة الدائمة لنسائهم، وليتمم هذه الصورة الساخرة أتى بالشطر الثاني بصيغة الماضي أيضا(**وما عرفت أناملها الخضابا)**؛ ليؤكد ما أقره في بداية البيت، فنساء بني نمير لا تعرف الخضاب الذي تتجمل به النساء في العادة، وقد أراد جرير هنا صنع صورة مغايرة **للآخر / نساء بني نمير**، فعدم معرفة نسائهم الخضاب يوحي بالهمجية وعدم التحضر والدونية والفقر والوضاعة، مما يجعلهم موضع سخرية، خاصة ونحن نعلم أن الأناقة والجمال ترمزان لعلو المنزلة الاجتماعية، كما يمكن أن يشير الخضاب إلى الخصوبة والإغراء، وعدم معرفة نساء بني نمير له يرمز أيضًا إلى العقم وعدم التكاثر ويلاحظ أن جريرًا كان يضرب قبيلة بني نمير في الصميم، ويستمر في البيت التالي في وضع صفات أخرى تؤكد الصفات الأولى لنسائهم عن طريق الكناية أيضًا، فيقول: إن نساءهم إذا جئن يردن الماء من عين تبراك تغير لون الماء وأصبح غير صالح للشرب، فتغير لون الماء كناية عن قذارة نساء بني نمير، وجاء بالصورة الكنائية في صيغة الماضي؛ ليؤكد أنها صفة ملازمة لهن، بالإضافة إلى توظيفه لصيغة المبالغة في قوله: (وخبثت الترابا) للدلالة على أن وجود النساء له تأثير سلبي على المكان؛ حيث صورهن أدوات متشيئة أسهمت في إفساد الطبيعة، وبذلك جردهن من البشرية، وشوه صورتهن الأنوثية ودمر

جمالها و في هذا إشارة إلى عجز قبيلة بني نمير عن حماية نسائهم، كما يلاحظ أن في ربط الشاعر بين الخبث والتراب الذي يدفن فيه الموتى، دلالة على ربط القبيلة بالعدم؛ أي أن التراب يرمز لموت هذه القبيلة، كما تمثل هذه الصورة تفريغ جرير لطاقة الغضب المكبوت على بني نمير، فهجاؤه لم يقتصر على الرجال بل شمل نساءهم مما يعمق الشعور بالعار والإذلال الجماعي، فإهانة جرير لبني نمير شملت كل فرد من أفراد القبيلة وهذا يضعف تماسكهم الاجتماعي، ويحدث صدمة نفسية جماعية لخصومه بني نمير.

فالسخرية ((هي طريقة في التهكم المرير والتندر أو الهجاء الذي يطغى فيه المعنى بعكس ما يظنه الإنسان وربما كانت أعظم صور البلاغة عنفًا وإخافةً وفتكًا)) (30)، ويستغل جرير اللحظة الغاضبة للانتقام من جميع خصومه فيسخر من بني طهية والخشاب كذلك، فيقول:(31)

أثعلبة الفوارس أو رياحا عدلتَ بهم طُهَّيةَ والخشابا
كأن بني طهية رهط سلمى حجارة خارىء يرمي الكلابا
رأين سواده فدنون منه فيرميهن أخطأ أو أصابا

فصورة الغضب هنا جاءت في أعلى درجاتها فكأن بني نمير لم يجنوا على أنفسهم فقط، بل على الآخرين أيضًا، لقد رسم جرير صورة هجائية ساخرة تخفي خلفها أنًا غاضبة، تهجو كل من وقف ضدها وهجاها، فهي أشبه ما تكون بنار تلتهم كل من يقف أمامها؛ حيث وظف التشبيه في السخرية من بني طهية عندما شبههم بالحجارة التي يستعملها الخارىء، الذي رأته الكلاب فرماها بهذه الحجارة القذرة، ولا يهمه إن أصاب هذه الكلاب أم لا بل المهم هو إبعادها عنه، فصاحب الحجارة في حالة خوف ووضع مهين يريد إبعاد الكلاب عنه فقط، ولكن جرير في هذا التشبيه لا يريد صاحب الحجارة، بل الحجارة القذرة التي وظفها في بناء صورته الساخرة التي أراد بها الحط من شأن الآخر وهزَّ صورته كفارس، وتحويله إلى مجرد أداة مبتذلة تستعمل في إزالة القذارة إيذاء الحيوانات، وفي هذا التشبيه سخرية وتقليل من قيمة الخصم واستهزاء بشجاعته، ففي قوله **"يرمهن أخطأ أو أصابا"** إشارة إلى عجزهم وعشوائية فعلهم في الحرب وعدم دقة هجماتهم، كما احتوت الصورة على نوع من التعريض عندما ذكر جرير اسم سلمى وهي امرأة من بني طهية قتلها أبو شداد القشيري؛ لأنها هجته ولم يأخذوا بثأرها منه (32)، فهم عنده قبيلة مستباحة جبانة غير قادرة على أخذ ثأرها، وقد وظف جرير قتل سلمى للدلالة على جبن قبيلة طهية التي لم تستطع أخذ ثأر ابنتها سلمى، وقد ركز جرير على صفة الجبن؛ لأنه أبشع ما يوصف به العربي آنذاك، كما

أن العرب ترفض الذل والمهانة ودائمًا ما تأخذ بثأرها دفاعًا عن شرفها وعرضها، هذا إذا كان المقتول فارسًا من فرسانها، فما بالك إذا كان المقتول امرأة، وهذا ما أراد جرير إيصاله من خلال هذه الصورة، فكأن لسان حاله يقول أنتم لم تأخذوا بثأر نسائكم، فكيف تتطلعون إلى أن تكونوا من علية القبائل؟، وهذه الصورة التشبيهية الساخرة جمعت بين القذارة والجبن وهما صفتان تدلا على لؤم الأصل ودنو المنزلة، وهذا ما أراده جرير من هذه الصورة الساخرة حيث تقدم له العزاء النفسي من خلال بيانه لرفعة نفسه وقومه، وإذلال الآخرين ووضعهم في منزلة دون منزلته، وهو ما تتوق إليه الأنا الغاضبة عند جرير؛ لخلق التوازن النفسي فيها بعد الخلل الذي أحدثه الراعي وابنه في استقرارها.

ويلاحظ أن هذه الصورة جمعت بين ضدين هما أنا واثقة ساخرة وأنا متألمة، فظاهر الصورة يشير إلى أن جريرًا حقق بها هدفه في الانتقام من الخصم وإذلاله والسخرية منه بشعره، وجعل الناس تضحك منه وتستخف به وبأهله، حين جعلهم في أبشع صورة، وفي الباطن أخفت خلفها أنًا متألمة ومتوجعةً من واقعها، الذي حاول جرير تحويله لعالم افتراضي يوازي العالم الحقيقي العبثي الذي شعر فيه بالذل والإهانة، وجلب له الهم والحزن، إذًا نلاحظ في هذه الصورة صراعًا بين العالم الداخلي للشاعر الذي يريد الانتقام، وبين عالمه الخارجي الذي يرفضه ويقاومه /الآخر المعادي؛ وقد اختبأت الأنا الغاضبة خلف الصورة الهجائية الساخرة التي اتخذت منها قناعًا؛ لتعيد به ترميم ذاتها الممزقة.

ويستمر الشاعر في هجائه الساخر من بني نمير فيقول: (33)

ولو وزنت حلوم بني نمير على الميزان ما وزنت ذبابا

فصبرًا يا تيوس بني نمير فإن الحرب موقدة شهابا

يعمد جرير في الأبيات إلى رسم صورة ساخرة لخصومه عن طريق استخدامه لغة عنيفة بذيئة حادة تجردهم من إنسانيتهم، فيوظف الاستعارة والتشبيه بما لهما من أثر فاعل في إبراز معاني الحقد والتشفي والانتقام من الخصم، ولذلك نجد جرير دائمًا ما يشبه خصومه بما يحقرهم ويقلل من شأنهم، ويتمظهر غضب الأنا الجريرية هنا في وصف بني نمير بأنهم لا عقول لهم، ويكني عن ذلك بقوله: **(ولو وضعت عقول بني نمير على الميزان ما وزنت ذبابا)**؛ أي أن الذبابة في خفة وزنها أكثر ثقلاً ورزانةً وحلمًا من عقولهم، فهذه الصورة الاستعارية التجسيدية هي كناية عن خلوهم من العقل والحكمة والرأي السديد، كما تظهر قمة سخرية جرير منهم؛ حيث جعلهم في منزلة أقل من الذباب، وفي هذه الصورة ازدراء من الشاعر لخصومه، وإيحاء ورغبة من

جرير في تحطيم هيبتهم اجتماعيًا، وينتقل في البيت الأخير ليؤكد صورته السابقة حين يشـــه بني نمير بذكور الماعز(التيوس)؛ وفي هذا إشـــارة إلى غبائهم والتقليل من إنسانيتهم بجعلهم أقرب إلى الحيوانات، كما يعرض في ذلك أيضًا بشرف نسائهم، فهذه الصـورة ما هي إلاَّ تمظهر من تمظهرات غضـب الأنا وانعكاسـها في نفس الشـاعر، فحالة الغضب عنده تستوجب الانتقام حتى يشفي غليله ويطفئ نار غضبه التي توقدت واسـتعرت ألمًا ووجعًا حين أشـرفت على الضـعف وعانت من التمزق الداخلي بسـبب الصـــدمة التي أحدثها الراعي وابنه من ناحية، وخوف جرير من فقد مكانته الشـــعرية وهيمنته على شـعراء عصـره من ناحية أخرى، مما خلَّف حالاً من القلق والتوتر خلف أناه المحترقة والمتأججة لرد الإهانة وفرض الهيمنة والســيطرة الشــعرية؛ ولذلك لجأ جرير لهذه الصورة للتخفيف من شدة المعاناة النفسية عن طريق إظهار الإيلام اللفظي لبني نمير من خلال السخرية منهم، بما احتوته هذه الصورة من دلالات معنوية ونفسية ذات تـأثير نفســـي عميق على نفوس بني نمير، والـذي تمثـل في الإهـانـة والتحقير والاستخفاف والاستهزاء بهم، وكأن الشاعر أراد إيلام خصمه من خلال هذه الصورة التشبيهية التي تعمد فيها صيغة الماضـي؛ ليقرر أن صفة الغباء صفة مقرونة بهم منذ زمن طويل، ولم تكن صفة طارئة عليهم، وحين طالبهم بالصبر، جاء اللفظ ليحمل في طياته تهديًا ووعيدًا لبني نمير، ويكشـف عن غضـب منظم مخطط له كالنار المشـتعلة بوعي لتدمير الخصـم والانتقام منه، فهذا التصـوير المتقن من الشـاعر يعقبه قوة انتقاء الشاعر للألفاظ المستوحاة من بيئته، وما تولدت داخله من مشاعر يكتنفها الألم والأسى والانكسار والذل والغضب والانتقام؛ حيث امتزجت هذه المشاعر مع واقعه الاجتماعي فشـكلت صـورًا انتقامية حركية متنامية مع حركة الغضـب للأنا الجريرية، كما شـكل غضـب الأنا الجريرية مواجهة بين أنا الشـاعر الغاضـبة ضـد الآخر(بنو نمير)، وهو بذلك غضب موجه وظفه الشاعر لتحقيق أهداف نفسية واجتماعية وأدبية.

2/ صورة الأنا المتعالية:

يستخدم الفرد حيلاً دفاعية حسب نوع الموقف الذي يتعرض له، فإذا تعرض لموقف يهينه ويحقره فإنه سـيحاول جاهدًا عدم ظهور علامات الانكسـار والفشـل عليه وذلك باستخدام حيلة التجاهل؛ أي كأنه لم يتعرض لموقف ما، أو بالرد على الإهانة بمثلها أو بأكبر قوة منها، وأحيانًا أخرى يســتعمل حيلة الاســتعلاء كنوع من تهميش الآخر وتحقيره، أما إذا قام هو بفعل غير معتاد منه كسـخريته من شـخص ما فإنه سـيلجأ إلى

حيلة التبرير حتى يخرج من الموقف المحرج الذي وضع نفسه فيه، وهكذا سيحاول في كل مرة وضع حيلة دفاعية نفسية تتلاءم مع الموقف الذي يتعرض له، أو يصدر عنه، وفي الموقف الذي تعرض له جرير نجده يوظف مكانيزما التعالي أو الاستعلاء وهي مكانيزما دفاع يسعى من خلالها الفرد لتضخيم ذاته في محاولة منه لإخفاء شعوره بالنقص(34)، وللتخفيف من شدة التوتر والقلق النفسي، والألم المستكين في أقبية داخل الأنا لا مجال فيه للقوة والتماسك؛ وذلك نتيجة للإهانة الذي تعرض لها الشاعر، فلجأت الأنا الجريرية إلى تضخيم ذاتها بتحويل النقص إلى طاقة إبداعية متعالية ترفعها عن الآخرين وتجعلها في موقف قوة وقدرة بعد أن كانت ضعيفة عاجزة خاصة أثناء تعرضها للرفس والإهانة يقول جرير (35):

أعد الله للشعراء مني صواعق يخضعون لها الرقابا

الأنا الجريرية تفاخر بنفسها وبشعرها وبتفوقها الفني؛ حيث شبه الشاعر شعره بالصواعق النازلة التي تميت وتقتل، فوظفت التعالي كآلية دفاع لتعويض النقص النفسي، كما تخفي الأنا خلف هذه الصورة من التعالي خوفها من الفشل في الرد على الراعي وابنه، فتفقد بذلك مكانتها وهيمنها الأدبية؛ لذا لجأت أنا الشاعر للتعبير عن تفوقها وتعاليها إلى توظيف صورة الصواعق، فهي لم تكن صواعق عادية بل صواعق إلهية توحي بتعظيم ذاتها، حيث أضفى على هذه الصورة العدائية المتعالية شرعية دينية؛ أي أن أنا الشاعر تحولت إلى أداة تمثل الإرادة الإلهية لتأديب الخصوم، وكأنها أداة لفعل العدل الكوني.

كما أن هذه الصورة جاءت نتيجة شعور جرير بتهديد وجودي يهدد الشاعر وهويته كشاعر مسيطر ومتميز بين شعراء عصره، فأراد في هذه الصورة إعادة هيكلة الواقع فجعل من خصمه عدوًا يجب إبادته، وفي الوقت ذاته جعل من نفسه بطلاً ثقافيًا له مكانته في عصره، فهذه الصورة المتعالية والتي تمظهرت في القوة الإلهية/ تعظيم الذات/ الصراع الوجودي/، تعكس الصراع الداخلي مع العالم الخارجي؛ أي صراع الأنا الشاعرة بين الهشاشة الداخلية/ الخوف من الهزيمة وفقدان الهيمنة الشعرية، والصلابة الظاهرة التي تمظهرت في الغضب والقوة الإلهية.

وفي موضع آخر من القصيدة نجد الصورة الفخرية المتعالية عند الشاعر في قوله(36):

أنا البازي المدل على نمير أتحت من السماء لها انتصابا
إذا علقت مخالبه بقرن أصاب القلب أو هتك الحجابا
ترى الطير العتاق تظل منه جوانح للكلاكل أن تصابا

في هذه الصورة الاستعارية يصور جرير نفسه بازًا محلقًا في السماء ينقض من أعاليها على بني نمير، فالصورة الحركية التي وظفها جرير هي صورة تحمل في طياتها الفخر والتعالي بنفسه وبشعره، وترمز للقوة والهيمنة فالطائر المفترس (الباز) يعرف بحدة بصره وسرعة هجومه، وهذا يعكس رغبة أنا الشاعر في إظهار التفوق والسيطرة على الخصوم، وذلك واضح من حلال تركيزها على لحظة اصطياد الباز للفريسة وكيف مزقها، فدقة تصويره لهذه اللحظة دلالة على شدة غضب الأنا وسرعتها في الرغبة للانتقام من بني نمير ومن خصومه، كما توحي هذه الصورة بزرع الرعب والخوف في نفوس خصوم جرير، وليس بني نمير فقط، كما تمثل صورة العلو والمراقبة عند الباز رمزًا لتفوق جرير الاجتماعي والشعري اللذين يدعيهما جرير على خصومه.

والأنا الغاضبة في هذه الصورة توظف التعالي الغاضب لحماية ذاتها والحفاظ على وجودها وتعزيز مكانتها، وبعبارة أخرى الأنا الغاضبة عند الشاعر ليست مجرد انفعال عابر بل صورة تشكلت عبر الاستعارات العنيفة المتمثلة في الباز/ مخالبه بقرن/ هتك الحجابا/ فالغضب والتعالي وسيلتان لتعزيز التفوق وهزيمة الخصوم وإثبات الوجود، فحقق جرير من خلال هذه الصورة التأثير في خصومه عن طريق زرع الخوف في قلوبهم، أمَّا بني نمير فمزقهم كما مزق الصقر فريسته.

3/ صورة الأنا المسيطرة:

وهي التصور الداخلي للفرد تجاه موقف ما أو قضية أو شخص؛ أي أنها انعكاس ذاتي داخلي يتشكل من خلاله فهم الفرد لنفسه وللعالم من حوله.

إن الصور التي رسمها جرير في قصيدته لها أبعاد نفسية عميقة بسبب ما تعرض له من إهانة وتحقير، وإذا تأملنا القصيدة سيتضح معنا أن جرير تمظهر غضبه في تصوير نفسه الغاضبة حين شببها بالكاوي الذي يشفي من الجرب فيقول(37):

ألم ترني صببت على عُبيد وقد فارت أباجله وشابا
أُعد له مواسم حاميات فيشفي حر شعلتها الجرابا

تعكس هذه الصورة هيمنة الأنا/الشاعر، على الآخر/ الراعي/ فتظهر قوية ومتحدية له وذلك من خلال فعل الصب (صببت) الذي رمز به الشاعر إلى السيطرة والذي أعطاه حق العقاب، ومما يعزز هذه الصورة الشطر الثاني من البيت والذي صور فيه حال بني نمير ككائنات مستلبة تعاني التشيؤ والتمزق؛ حيث يظهر أثر العنف النفسي

والجسدي عليهم، دون استطاعة الآخر/الراعي على الرد والمواجهة، مما يوحي بحال الاضطهاد والقسوة التي تفرضها الأنا الغاضبة التي رسمت لنفسها صورة سادية تتلذذ بعذاب الآخر / الراعي النميري انتقامًا منه، فجسدت هذه الصورة نزعة عدوانية أو رغبة في إثبات القوة والسيطرة والتفوق على الآخر، وهذا رد فعل عن شعور سابق بالذل والاضطهاد؛ أي أن هذه الصورة انعكاس للألم الداخلي للأنا الجريرية الغاضبة، والذي تحول إلى فعل عنيف تجاه الآخرين وخلق منها أناة سادية لا تعرف الرحمة.

ويمكن أن نلاحظ قوة سيطرة الأنا التي تمظهرت في خاتمة القصيدة؛ حيث شبه الشاعر نفسه بالنار المشتعلة، وشبه قصيدته بالشهاب الذي أشعله الراعي وابنه منها فتحول إلى نار عظيمة أحرقتهم، يقول الشاعر:(38)

إليك إليك عبد بني نمير ولم تقتدح مني شهابًا

كما نجد في هذه الصورة تهديدًا لبني نمير بعدم العودة لإيذائه وإلاَّ سيكون جزاؤهم قصيدة أخرى تدمرهم، وهذه محاولة من الشاعر لضمان استقراره النفسي في المستقبل، وفي الصورة أيضًا تتجلى أنا جرير المسيطرة والمنتصرة في نهاية القصيدة فالأنا هنا موقنة بتفوقها وبانتصارها على خصومها، وهذا ما يتضح من قول جريربعد انتهائه من نظم القصيدة ((لقد أخزيته ورب الكعبة)) (39)، فالأنا الجريرية وصل بها التعالي إلى الثقة بالنفس والغرور الذي تلاشى أمامه الآخر، فهذه الصورة تبين استحقار الشاعر واستهزاءه من بني نمير الذين لا يتساوون معه في الشعر ولا في القيمة والشرف، كما تبين الصورة قمة اعتزاز الشاعر بنفسه، وإيقانه بسيطرته على بني نمير وإيذائهم.

المبحث الثالث: التمظهرات الأسلوبية الفنية:

تعددت الأساليب في القصيدة الدامغة لجرير بين أساليب خبرية وإنشائية، حملت في طياتها تمظهرات الأنا الغاضبة لجرير بين التوتر والقلق والتعالي، وإذا ما بحثنا عن تمظهرات الأنا الغاضبة في أساليب القصيدة نجد أن أهم الأساليب التي تمظهرت فيها ما يأتي:

أ/ أسلوبا الأمر والاستفهام:

تمظهر أسلوب الأمر في التعالي واحتقار الآخر وهو ما نجده في أهم بيت في القصيدة في قول جرير(40):

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبًا بلغت ولا كلابا

أتـعـدل دمـنة خـبثت وقـلت إلى فـرعين قـد كثرا وطابا؟

فجرير هنا يوجه الأمر إلى الراعي فيقول له: اطرق رأســك ووجه بصــرك إلى الأرض، ذلاً ومهانة فأنت وضـيع ولسـت بمنزلة قبيلتي كعب وكلاب، فأسـلوب الأمر وظفه جرير للاسـتعلاء وتحقير بني نمير، وفرض سـيطرته عليهم فعزز ثقته بنفسـه، واستطاع جرير عن طريق هذا الأسلوب إذلال خصمه واستصغاره، فخفف بذلك من شدة التوتر والقلق الداخلي والغضب الذي أفرغه في هذا البيت حين شكل انتقاصًا من إنسانية الخصم وذلك بقوله((فغض الطرف)) وكأن جرير يجبر **الآخر / الراعي** على الخضـوع والاستكانة، مما ولد لدى الخصـم شـعورًا بالعجز والدونية، ولم يكتف بهذا، بل يؤكد ما قاله في البيت السـابق، فيظهر اسـتهجانه وسـخريته من الخصـم عن طريق أسـلوب التعجب في محاولة خصــمه مقارنة نفســه بجرير، وهذا يضــفي على جرير شـعورًا بالتفوق والهيمنة، كما يوحي بتعالي الأنا الجريرية واستحقارها لخصمها، وقد استطاع الشـاعر تحويل أسلوب الاستفهام التعجبي لهجوم لاذع حين جعل من الخصـم مادة سـخرية واسـتهزاء، كما يمكن ملاحظة أن توظيف هذا الأسـلوب يوحي بشـعور الآخر/ الراعي بعقدة الذنب، فقد ولَّد لديه إحسـاسًـا داخليًّا بضـعف الحجة عندما حاول مساواة نفسه بجرير، ويمكن أن يكون أمر جرير للراعي بالإطراق ذلاً استشرافًا نفسيًّا من جرير بشعور الراعي بعقدة الذنب بعد الهوان الذي سيحل بقومه بعد هذه القصيدة، وبذلك هيمنت الأنا الغاضــبة لجرير من خلال هذا الأســلوب فكســرت نفســية الآخر، وقامت بتفكيكه اجتماعيًا، بينما عززت من هويتها قبليًّا، وبذلك نجح الشـاعر في تفريغ طاقته الغاضـبة وتأثيرها النفسـي الداخلي المتراكم فدمر بها خصـومه وجعلهم عاجزين عن الرد.

ويستمر جرير في توظيف أسلوب التعجب والاستفهام في رسم صورة التحقير للآخر المعادي/ الراعي النميري حيث يقول: (41)

فيا عجبي أتوعدني نمير براعي الإبل يحترش الضّبابا ؟

فيظهر التعجب في هذا البيت اســتهجان جرير لتهديد الخصــم/ بني نمير والراعي؛ حيث يتعجب ويتسـاءل في الوقت ذاته، كيف لبني نمير أن تتوعدني براعي الإبل الذي لا يصلح إلاَّ للرعي وصيد الضب؟، فقد حول الصراع بينه وبين خصومه إلى صراع اسـتعلائي يبين فيه مكانته في عصـره، فاسـتطاع بذلك تضـخيم الأنا الغاضـبة وفي المقابل قلل من شـأن الآخر وسخر منه وذلك في قوله: ((أتوعدني نمير؟)) فالاستفهام هنا خرج إلى معنى التعجب من تهديده له، فكيف لراعي الإبل أن يتجرأ عليه، وقد

أراد جرير إبراز سذاجة الآخر وإفقاده مصداقية تهديه أمام السامعين، فيصبح بين أمرين إما أن يقول نعم فيقر بسذاجته، وإما أن يقول لا فيتناقض مع فعله، وقد حمل الاستفهام معاني التهكم والتوبيخ للآخر، فيبين مكانته، وعزز موقف أناه الغاضبة وسيطرتها في كسر هيبة الآخر وإذلاله، ويمكن القول إن الأنا الغاضبة لجرير استطاعت تشكيل الواقع لصالحها فتحولت من حال دفاع إلى حال هجوم من خلال اللغة وقوة الأسلوب.

وفي موضع آخر نلاحظ أسلوب الاستفهام في قول جرير(42):

أتيعر يا ابن بروع من بعيد فقد أسمعت فاستمع الجوابا ؟

يهجو جرير في هذا البيت الراعي النميري فيشبه شعره بصوت التيس استخفافًا به وتهكمًا عليه؛ لأن صوت الماعز في العادة يكون مزعجًا، وجرير أراد من خلال هذا التشبيه أن يثبت لخصومه أن ما قاله الراعي لا يتعدى ازعاجه نفسيًا، ولم يصل إلى درجة إيلامه؛ ولذلك لجأ لهذه الصورة الساخرة ليثبت انتصاره ويبين عجز الآخر/ الراعي عن المواجهة فيبين بذلك خوفه وجبنه، ويحقق لذاته الغاضبة التفوق والانتصار، ويستمر الشاعر في تحقيق الانتصار عندما نادى الراعي بابن بروع؛ أي ابن الناقة فهذه النظرة الدونية للراعي؛ حيث جعل الناقة هي أمه وذلك إشارة إلى مهنته الرعي التي يحترفها الراعي، وهذا يدل على دنو المنزلة ووضاعة الأصل وربما انعدامه، وبذلك انهى جرير خصمه شعريًا وأخلاقيًا من خلال هذا الوصف المهين، وحتى يبسط جرير سيطرته فقد استخدم أسلوبي الاستفهام والأمر كجزء من استراتيجية الأنا الغاضبة؛ ليؤثر على الخصوم فيجعلهم غير قادرين على الرد، وفي هذا إرباك للخصم، وإجباره على الانصات مما يولد لديه شعورًا بالدونية والنقص وضعف الموقف، والتقليل من القيمة أمام السامعين، ففي هذا الأسلوب يشعر الراعي بالضغط النفسي الحاد فيجبره على الرد والدفاع عن نفسه وقبيلته، وهذا قد يضعف حجته ويظهره بموقف الضعيف ويرمي جرير من وراء هذا إلى إرباك خصمه/الراعي، وإثبات عجزه عن مواجهة جرير، وفي المقابل يمكن أن يعطي هذا الأسلوب الأنا الجريرية فسحة؛ لتفريغ غضبها والتنفيس من خلال توظيف الأسلوب الاستفهامي الساخر، بدلاً من قول كلامٍ لا طائل من ورائه، وبذلك يعزز الموقف الأخلاقي للأنا الجريرية، ويقلل من شأن الخصوم، ويصورهم في صورة المهزوم.

ب/ أسلوب التكرار:

وقد عمد الشعراء إلى توظيف أسلوب التكرار، لما له من أهمية ذات أبعاد اجتماعية ونفسية ولغوية وبلاغية وإيقاعية وصوتية، وهو يفتح أبواب النص للتطلع على الفكرة المتسلطة على ذات الشاعر ((فالتكرار يضع في أيدينا مفتاحًا للفكرة المتسلطة على الشاعر، وهو بذلك أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها بحيث نطلع عليها)) (43).

لقد حرصت أنا الشاعر الغاضبة على تكرار اسم عدوها الذي أهانها وانتقص منها؛ رغبة في إذلاله وامتهانه انتقامًا لنفسها، وتتجلى أهم مظاهر التكرار في القصيدة في تكرار اسم بني نمير؛ حيث كرره الشاعر ثلاث وعشرين مرة، والجدول الآتي يوضح صيغ التكرار لاسم بني نمير التي جاءت كلها في معاني الذم والسخرية وانتقاص الآخر:

الرقم	جملة التكرار	الرقم	جملة التكرار
1	قرنت العبد عبد **بني نمير**	13	ألم نعتق نساء **بني نمير**
2	لبئس الكسب تكسبه **نمير**	14	أجندل ما تقول **بنو نمير**
3	أتلتمس السباب **بنو نمير**	15	فغض الطرف إنك **من نمير**
4	أنا البازي المطل **على نمير**	16	وحق لمن تكنَّفته **نمير**
5	ولو وضعت فقاح **بني نمير**	17	إذن لنفيت عبد **بني نمير**
6	فلا صلى الإله **على نمير**	18	فيا عجبي أتوعدني **نمير**
7	وخضراء المغابن **من نمير**	19	فأولع بالعفاس **بني نمير**
8	وقد جلت نساء **بني نمير**	20	فلا تجزع فإن **بني نمير**
9	إذا حلت نساء **بني نمير**	21	تركت مجاشعًا **وبني نمير**
10	ولو وزنت حلوم **بني نمير**	22	ألم ترني وسمت **بني نمير**
11	فصبرًا يا تيوس **بني نمير**	23	إليك إليك عبد **بني نمير**
12	لعمري أبي نساء **بني نمير**	//////	//

فالتكرار ليس مجرد أسلوب بلاغي، وإنما هوا أداة يوظفها الشاعر؛ لتأكيد فكرته وفرض سيطرته، فالفكرة التي تسيطر على الشاعر يظل يكررها باستمرار، ويتخذ منها ركيزة في بناء القصيدة، وهو في هذا يحاول إقناع المتلقي بالرسالة التي يرسمها من خلال أسلوب التكرار، وفي التكرار الاسمي عند جرير يتحول التكرار إلى سلاح انتقامي يرهب الخصم، ويدمره، فتكرار اسم بني نمير ثلاث وعشرين مرة يحقق هدفين للأنا الغاضبة أولهما: هو شحن أنا الشاعر الغاضبة؛ لأنها بمجرد سماع اسم

الخصم تشحن طاقة الغضب فيها من جديد، وتبدع في الإتيان بمزيد من الإبداع الفني من أجل التنفيس عن ذاتها ومحاولة سد النقص النفسي الذي ألحقه بها الآخر، والهدف الثاني هو ترسيخ هذه الإهانة والوضاعة في ذهن المتلقي، ويمكن أن نضيف هدفًا ثالثًا وهو أن التكرار يمكن أن يكون وسيلة لإضعاف الخصم وإخافته.

ويمكن ملاحظة أن كثرة ورود التكرار عند جرير تلفت الانتباه مما جعل التكرار يشكل ظاهرة نفسية في رسم الصورة المبتغاة لخصومه، فقد جعل من تكرار الأسماء وسيلة يغطي بها عجز أناه الغاضبة بداية، ثم جعله وسيلة يذكي بها نار غضبه، لقد أسهم أسلوب التكرار في رسم صورة المهجو، ففي كل مرة أورد فيها الشاعر أسلوب التكرار نجده يذكر صفة من صفات خصومه فيختار لهم صفة قبيحة وذميمة يعيرهم بها؛ حتى يرضي أناه الغاضبة.

لقد أراد الشاعر من التكرار إهانة خصومه وإذلالهم، فالمعروف أن تكرار الشيء يجعله يعلق بالذهن، ومن الصعب نسيانه، ويبدو أن جريرًا كان يدرك ذلك، وإلاَّ لما ركز على تكرارهم بهذه الطريقة، فيبدو أنه أراد هجائهم هجاءً لا يمكن نسيانه على مرَّ الزمان، وكأنه أراد تحطيمهم حاضرًا زمن الحدث، ومستقبلاً في الزمن غير النهائي؛ لترديد الرواة والمتلقين للقصيدة، واسم بني نمير، وفعلاً حقق الشاعر ما أراد فظلت هذه القصيدة وصمة عار تلاحق بني نمير أبد الدهر.

الخاتمة:

تناول البحث تمظهرات الأنا الغاضبة عند جرير في قصيدته الهجائية الدامغة والتي تمحورت في الشكل الفني وأنماط الصورة الفنية وأهم الأساليب الفنية، وقد جاءت النتائج كما يأتي:

1/ إن عنوان القصيدة بمختلف تسمياتها جاء ليؤكد هدف أنا جرير النفسي وهو إلحاق الأذى والعار ببني نمير.

2/ اختيار جرير للمقدمة العذلية والرد على العاذلة جاء ليلائم الجو النفسي الغاضب الذي كان يعتري الأنا الجريرية عند إبداع القصيدة.

3/ يستخدم الشاعر تقنية الاقتضاب بدل تقنية حسن التخلص لأن أناه الغاضبة كانت في عجلة من أمرها للانتقام من خصومها.

4/ أوجزت الخاتمة جميع أهداف الأنا الغاضبة من القصيدة.

5/ انقسمت صورة الأنا الغاضبة إلى: صورة الأنا الساخرة، وصورة الأنا المتعالية، وصورة الأنا المسيطرة.

6/ تمركزت الصور في القصيدة في إهانة بني نمير والسخرية منهم ومن نسائهم وهو ما يمنح الشاعر جزءًا من التعويض النفسي الذي يخفف من ألم إهانتها.
7/ كانت أساليب الأمر والاستفهام والتكرار أهم الأساليب الي استخدمتها الأنا الجريرية المبدعة من أجل التنفيس عن غضبها ومعاقبة خصومها، وإلحاق الأذى والضرر والعار بهم على مر الزمان.

بيان تضارب المصالح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامش:

1) ينظر: الأنا والهو، فرويد، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ص 10-16.
2) أسس الصحة النفسية، د. عبد العزيز القوصي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط4، 1952م، ص 105.
3) سيكولوجية الغضب العاطفة التي أسيء فهمها، د. صموئيل حبيب، دار الثقافة، القاهرة، د.ت، ط2، ص11-12 .
4) ينظر: كتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق، أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري، ت 209ه، وضح حواشيه خليل عمران المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م، ط1، ج1، ص307، 308.
5) المصدر السابق، ص 308.
6) ينظر: المصدر نفسه، ص310.
7) المصدر نفسه، ص310.
8) الأغاني، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، ت 356ه، تحقيق: د. إحسان عباس، د.إبراهيم السعافين، أ. بكر عباس، دار صادر، بيرت، ط3، 2008م، ج24/ 116.
9) الشعر العربي الحديث، دراسة في المنجز النصي، رشيد يحياوي، الناشر إفريقيا للشرق، الدار البيضاء، بيروت، د.ط، 1998م، ص 116-117.
10) ينظر: العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، سوريا، 1981م، ط5، ج1/ ص51.
11) ينظر: الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، مصدر سابق، ج8، ص12-22.
12) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ونقده، مصدر سابق، ج1/ص51.
13) المصدر نفسه، ص 218.

14) ديوان جرير، شـــرح محمد بن حبيب، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ط3، ص813.
15) المصدر نفسه، ص 813.
16) طوق الحمامة في الألفة والألاف، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، حققه وفهرس له: أ. كامل الصـــيرفي، أ. إبراهيم الأبياري، مطبعة الاســـتقامة، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 47.
17) ديوان جرير، ص813- 814.
18) المصدر نفسه، ص 814.
19) المصدر نفسه، ص814.
20) المصدر نفسه، ص814.
21) المصدر نفسه، ص 823.
22) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبي الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان د.ط، د.ت، ص 306.
23) العمدة في محاسـن الشـعر، وآدابه، ونقده، لابن رشـيق القيرواني، مصـدر سـابق، ج1/ ص239.
24) ديوان جرير، مصدر سابق، ص 825.
25) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د. عبد القادر القط، مكتبة الشباب، د.ت، د.ط، ص 435.
26) التفسير النفسي للأدب، د.عز الدين إسماعيل، الناشر مكتبة غريب، ط4، د.ت، ص 84.
27) علم النفس والأدب، دار المعارف، د. سامي الدروبي، القاهر، د.ت، ط2، ص 233.
28) أبو عبيدة معمر بن المثنى، النقائض، نقائض جرير والفرزدق، مصدر سابق، ص 307.
29) ديوان جرير، مصدر سابق، ص 820.
30) السـخرية والفكاهة في النثر العباسـي، نزار عبد الله خليل الضـمور، دار حامد، الأردن، ط1، 2012م، ص 16.
31) ديوان جرير، مصدر سابق، ص 814.
32) ينظر: أبو عبيدة معمر بن المثنى، النقائض، نقائض جرير والفرزدق، مصـــدر ســـابق، ج1، ص313.
33) ديوان جرير، مصدر سابق، ص 821.
34) النفس وانفعالاتها وأمراضـــها وعلاجها، د. علي كمال، دار الشـــروق، بغداد، د.ط، 1983م ص 73.
35) ديوان جرير، مصدر سابق، ص819.
36) المصدر نفسه، ص 819.
37) المصدر نفسه، ص 821.
38) المصدر نفسه، ص 825.
39) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، مصدر سابق، ج 8، ص 23.

40) ديوان جرير مصدر سابق، ص 821- 822.
41) ديوان جرير، مصدر سابق، ص 822.
42) ديوان جرير، مصدر سابق، ص825.
43) قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، ط8، 1989م، ص 276-277.